مقدمـة

شكل التراث بكل تنوعه ومصادره المختلفة، أهمية كبرى في حياة كل امة من الأمم، فهو مورد خصب من موارد تراثها الفكري، ونبع متدفق من ينابيع إبداعها الفني. وبهذا كان له في النفوس الحظوة الكبرى، والمكانة العليا، التي تعبر عن مدى اعتزازهم وفخرهم فهو رمز وحدتهم ودليل انتمائهم، والأرض الصلبة التي يقفون عليها لإثبات وجودهم ومكانتهم بين الأمم والشعوب. ولهذا كان في العودة إليه واستلهامه السبيل الوحيد لبناء الحاضر ورسم الطريق إلى المستقبل. والحصن الحصين والسد المنيع في وجه عواصف التغريب، ورياح التشويه والطمس التي تستهدف هوية كل امة، وتطمح للنيل من مكانتها وحضارتها. وقد كان الشاعر المعاصر بحسه الفني ووعيه الفكري سباقا لإدراك هذا التهديد فلاذ بالتراث يقلب صفحاته و ويستقرى إبداعاته ليختار منه الصوت الذي يعبر من خلاله عن مشاعره وأحاسيسه، والأداة التي ينشر من خلالها ما يدعو إليه من فكر، وما يطمح إليه من غاية، وهوما ستحاول هذه الدراسة التطرق إليه، والوقوف على وسائله وأساليبه، من خلال تتبعاها لنتاج الشاعر الليبي أحمد الشارف، رغبة منها في تسليط الضوء على طبيعة العلاقة الناشئة بين هذا الشاعر والتراث، وكيفية توظيفه له ولمعطياته، بعد أن اقتصرت الدراسات السابقة التي أقيمت حوله **الدراسات السابقة :**

- خصائص التركيب فى ديوان أحمد الشارف، ابراهيم الطاهر الشريف ، دار الكتاب الوطنية ، بنغازي ليبيا . ط.1 . 2000م.
ويعد هذا الكتاب دراسة حول الجمل والتراكيب العربية في مستويات لغوية مختلفة، باعتبار اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وقد لاحظ الدارس تغير بعض الجمل والتراكيب العربية بالتقديم، والتأخير والذكر والحذف، أو شيوع ظاهرة لغوية معينة، ولهذا قامت هذه الدراسة في النحو والصرف في ديوان احمد الشارف متخذة من أشعار انموذجاً للتطبيق، ومن المنهج الوصفي وسيلة للمقاربة.

- دراسة الجانب الصوفى فى شعر احمد الشارف، رسالة ماجستير ، هناء علوان، جامعة طرابلس ليبيا سنة 2006م
- إهتمت هذه الدراسة ، ببيان أثر الجانب الصوفى فى شعر الشاعر أحمد الشارف، وأثر التعليم الدينى الذى تلقاه فى حياته ، وإنعكاس ذلك على أشعاره وكذلك تأثره ببعض شعراء الصوفية الذين سبقوه فى هذا المجال.
- أحمد الشارف دراسة وديوان للكاتب على مصطفى المصراتى، دار الجماهيرية للنشر، مصراتة ليبيا، ط3، 2000م

والكاتب يتناول فى كتابه هذا، السيرة الذاتية للشاعر، من حيث النشأة والتعليم والوظائف التى تقلدها فى حياته، والمدارس الشعرية التى تأثر بها، ثم يعرج بقصائده المتنوعة بين الوطنية، والدينية والسياسية والإجتماعية والعاطفية والإنسانية.

وقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة، تسليط الضوء على بعض الجوانب الأخرى، التى لم تتناولها هذه الدراسات، وهو جانب التراث وأثره فى شعر أحمد الشارف وكيفية إفادته منه ، والأساليب الفنية التى إتبعها فى ذلك.

- اسلوب التصوير في النثر والشعر في شعر أحمد الشارف، محمد التركي، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، ط .1 2008م.

وقد دارت هذه الدراسة حول أساليب التصوير الأدبي عند هذا الشاعر، وما فيه من قوة ودقة وخيال، وما أمتاز به أيضاً من موهبة خلاقة، انعكست علي نتاجه الشعري، الذي حوى الخيال والفكر والعاطفة، في أسلوب تصويري رائع حاول الكاتب الوقوف عليه ، وتجليته من خلال نماذجه الشعرية المختارة.

لذا جاءت هذه الدراسة لتطرق بابا آخر جديدا من أبواب النقد الفني المتعلق بهذا الشاعر، دون أن تتبني أي شكل منهجي من أشكال المقارنات أو الموازنات أو المفاضلات، بين توظيفه للتراث وبين من سبقه أو من لحقه من الشعراء. بل هي دراسة فنية بحتة ترمي إلى بيان دور التراث وأهميته قديما وحديثا في بناء النص الشعري أولا، ثم تجلية دوره الإبداعي في النهوض بالقصيدة العربية ثانيا، وكذلك مقاربة هذا المصدر الإبداعي كأداة فنية و تعبيرية، استخدمها الشاعر أحمد الشارف، وفق أسلوبه ورؤيته لخدمة أغراضه الشعرية المختلفة ثالثا.

غير أن العودة إلى التراث تظل في مفهومها موضوعا إشكاليا مربكا، ليس من ناحية أحقية العودة لهذا التراث، وأهميتها وضرورتها، ولا من ناحية تجاهل هذه العودة والعزوف عنها لأن لا طائل من ورائها، وكذلك ليس من باب محبة التراث والدعوة إلى ملازمته، إلى حد التماهي معه، وإنما من حيث قدرة الشاعر على ربط هذا التراث بالحاضر، وكيفية توظيفه له واختياره للنماذج الصالحة للتفاعل معها، ليؤسس وفق رؤية عصرية شعر جديد. فالإبداع تواصل مع التراث وانقطاع معه معا، حتى لا يكون ما ينتجه الشاعر نسخة مكررة عن القديم، ولا تقليدا أو هدما له، بل يكون إعادة قراءة لهذا القديم، في ضوء تجربة عصرية حديثة، وهذا بدوره يشكل تحديا كبيرا للشاعر، في قدرته على استلهام هذا التراث وتفجير ما فيه من قيم روحية وإنسانية باقية، ثم ربطها بالحاضر، الذي يسعى الشاعر للتعبير عنه، وعن ما يكتنفه حياله من مشاعر وأحاسيس، أو مواقف وآراء وأفكار حول مشكلات عصره، وهو ما ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليه، من خلال طرحها لبعض الفروض .

مشكلات البحث :

- هل استطاع الشاعر أحمد الشارف، أن يضيف جديدا فيما يخص توظيف التراث، في الشعر الليبي؟
- هل اختلف أسلوبه الفني عن غيره من الشعراء، عند مقاربته للتراث، أم كان تقليديا في تعامله معه ؟
- هل تمكن الشاعر أحمد الشارف، من ربط التراث بالحاضر، عند تعبيره عن القضايا المعاصرة ؟

ولمحاولة الوصول إلى الغايات المرجوة من هذه الدراسة، فقد رأى الباحث تقسيمها إلى تمهيد وثلاثة فصول. أما التمهيد فهو يسلط الضوء على علاقة الشاعر بالتراث، وبيان كيفية توظيفه له، والإفادة من مصادره وعناصره المختلفة، في بناء نصه الشعري، مع مراعاة ربطه بالحاضر في ضوء متغيرات العصر، و هو ما يتطلب من الشاعر دائما قراءة جديدة له، حتى يستطيع توظيفه التوظيف الأمثل.

وقد جاء الفصل الأول ليتناول التراث الديني بمصادره المختلفة، وذلك من خلال ثلاثة مباحث كانت على النحو الآتي:

المبحث الأول: وفيه عمل الباحث على التعريف بالتراث، عبر ما تحدث به الكتاب والأدباء والنقاد، وذلك لإيضاح مفهومه كمصطلح يتم تداوله في الأوساط النقدية.

المبحث الثاني: ركز هذا المبحث على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، باعتبارهما مصدران من مصادر التراث الديني، وذلك من خلال إيراد الشواهد الدالة على توظيفهما من قبل الشعراء.

المبحث الثالث: أما المبحث الثالث، فقد كان مجالا لعرض كيفية استدعاء الشعراء للشخصيات الدينية، وكيفية توظيفهم لها بما يخدم أغراضهم.

ركز الفصل الثاني من هذه الدراسة على التراث الأدبي، وعلى ما يقوم به من دور في بناء القصيدة العربية المعاصرة، وذلك من خلال ثلاثة مباحث وهي كالآتي:

المبحث الأول: وفيه يتم التعريف بالتراث الأدبي، وبيان مفهومه وفق الرؤى النقدية والأدبية المختلفة، التي تناولتها كتب الاختصاص.

المبحث الثاني: يدور هذا المبحث حول استدعاء النصوص الأدبية، والمعارضات الشعرية التي وظفها الشعراء، للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم المختلفة.

المبحث الثالث: في هذا المبحث يتم تناول استدعاء الشعراء للشخصيات الأدبية، كأحد الوسائل والأدوات الفنية، التي يلجأ إليها الشعراء، للبوح بمشاعرهم وأحاسيسهم، ومواقفهم من بعض القضايا.

أما الفصل الثالث فسيتناول التراث التاريخي، كأحد المصادر التي لها حضورها الواسع في قصائد الشعراء، وسيكون تناوله على النحو الآتي:

المبحث الأول: يتم في هذا المبحث التعرف على مفهوم التراث التاريخي، من خلال إيراد جملة من الآراء والأفكار حوله، بغية الوصول إلى مفاهيم شاملة ووافية له.

المبحث الثاني: يتم التركيز في هذا المبحث على الأحداث الوقائع والأماكن التاريخية، باعتبارها أحد عناصر هذا المصدر، من خلال بيان كيفية توظيف الشعراء لها، والإفادة من طاقاتها الإيحائية في خدمة النص.

المبحث الثالث: وفي هذا المبحث يكون الوقوف على استدعاء الشعراء للشخصيات التاريخية، وما يستخدمونه في هذا الشأن من أساليب وطرق فنية، تعكس خصوصياتهم وقدراتهم الإبداعية.

منهجية البحث:

هكذا قام الباحث بتقسيم مادة بحثه العلمية، وفق ما تتطلبه من أدوات ووسائل لها بالغ الأثر في إنجاح هذه الدراسة، والوصول بها إلى أهدافها ومبتغاها، مستعينين في تحقيق ذلك بالمنهج الوصفي التحليلي، ليكون وسيلتها لمقاربة موضوعها، وذلك لما لهذا المنهج من وسائل وإمكانيات هامة، لها القدرة على منح الباحث الكيفية التي يتم بها تحليل ظاهرة توظيف التراث وتفسيرها بشكل علمي، ابتداء من جمع المعلومات والبيانات حولها، إلى التصنيف والقياس ثم الوصول إلى الاستنتاجات ذات الدلالة والمغزى في هذا الشأن، وهو أمر تميز به المنهج الوصفي عن باقي المناهج الأخرى، وجعله أكثر ملائمة ومواءمة لطبيعة هذا البحث، والوصول به إلى غاياته وأهدافه ويأتي في مقدمتها:

- معرفة الأسباب والدوافع وراء استلهام الشاعر أحمد الشارف للتراث , في نصوصهم الشعرية.
- بيان كيفية توظيف هذا الشاعر للتراث , والتقنيات التي استخدمها بما يخدم تجاربه الشعرية .
- تناول التراث في شعره وإيضاح أهميته , بعد أن قصرت الدراسات السابقة عن تناول هذا الجانب .

وهذه بلا شك جوانب فنية تحتاج إلى كثير من الجهد، كما تحتاج في الوقت نفسه إلى الاختيار الأمثل للوسائل والآليات التي يمتلكها المنهج المختار لتحقيق أهداف هذه الدراسة وطموحاتها. وإن كانت هذه الدراسة لا ترى مانعا من الاستعانة ببعض

المناهج الأخرى التي تستدعيها طبيعة هذا البحث، وتتطلبها خصوصيته، حتى يتمكن من سد الثغرات التي قد تنجم عن الاعتماد على منهج معين. هذا إلى جانب ما يمنحه هذا التنوع من إثراء وإغناء لموضوعه.

هذا، وقد واجهت الباحث عند تبنيه لهذا النوع من الدراسة بعض الصعوبات والعراقيل، التي أعاقت انجاز هذا البحث وإخراجه بالصورة المثلى التي كان يصبوا إليها، ويأتي في مقدمتها قلة الدواوين الشعرية المطبوعة المتعلقة بالشاعر، وكذلك غياب المصادر والمراجع الخاصة بالبحث، والمتعلقة بشكل أكبر بالشاعر وما دار حوله من بحوت ودراسات، إضافة عدم قيام أي دراسات مشابهة حول هذا الشاعر أو غيره من الشعراء الليبيين، يستطيع الباحث الإفادة منها في مجال بحثه. غير أن الباحث وبفضل من الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، استطاع بعد جهد مضني تذليل بعض هذه الصعاب، والتغلب على جوانب منها، أملا منه بالوصول بهذه الدراسة إلى أقصى غاياتها وطموحاتها، وإخراجها بالصورة المرضية.، فإن كنت قد أصبت فمن الله العلي القدير، وإن قصرت فمن نفسي، والحمد لله أولا وأخرا على كل حال.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }

صدق الله العظيم